

## فيدريكو غارسيّا لوركا في الذكرى 117 لميلاده

# الشاعر الغرناطيّ الغائب الحاضر أبداً

محمد محمد الخطّابي\*

في مدينة فوينتي بايكروس القريبة من غرناطة، وبالضبط في مسقط رأس الشاعر الغرناطي فيدريكو غارسيبا لوركا، وهو المنزل الذي أصبح اليوم متحفاً ووكالة أعماله الإبداعية على اختلافها، انطلقت خلال حيزبان الماضي الاحتفالات بالذكرى 117 لميلاد الشاعر الإسباني - الأندلسي (1898.1936) الذي يعتبره النقاد الإسبان وغير الإسبان من أكثر الشعراء شعبية، ومن أوسعهم شهرة، ومن أكبرهم تأثيراً في الأدب الإسباني في القرن العشرين.

اختفل بهذه المناسبة عبر تنظيم عدّة أنشطة وتظاهرات ثقافية بمشاركة عدّة شعراء وأدباء ونقاد إسبان، كان في مقدمهم الكاتب والناقد والمؤرّخ البريطاني «المؤسبن» المتخصّص في حياة لوركا وتاريخه وشعره إيان غيبسون. كما عُرض في هذه المناسبة بعض المخطوطات الشعرية الأصلية القديمة للوركا، وبعض صورهِ ورسوماتهِ ورسائلهِ وآثارهِ ومخلفاته، إذ قدّم الباحث البريطاني بهذه المناسبة كتاباً جديداً عن الشاعر الأندلسي ذائع الصيت تحت عنوان: «فيدريكو غارسيبا لوركا... وثائق وتكريمات» من تأليف الباحث الإسباني رفائيل إنغلادا، الذي كتب إِيّان غيبسون نفسه تقديماً ضافياً لكتابه الجديد الصادر بهذه المناسبة برعاية «مؤسسة فيدريكو غارسيبا لوركا الثقافية»، التي كانت قد أخذت على عاتقها عهدا بالعمل على تشجيع الدراسات، وحثّ البحوث التي من شأنها أن تعمل على التعريف، ونشر أعمال الشاعر وإبداعاته وذيوعها، ويكرّز التكريم الذي خصّص لهذا الشاعر هذه المرّة، إضافة إلى تسليط الضوء الكاشفة على أعماله الشعرية والمسرحية على معالجة جانب الالتزام عنده الذي تتحقّق في المجالات الاجتماعية، والإنسانية، والسياسية في شعرهِ.

خوسيه تورينيتي، المسؤول عن الثقافة في مندوبية المدينة الصغيرة التي رأى فيها لوركا النور للمرّة الأولى، فوينتي بايكروس قال من جهته عن هذا الكتاب: «يعتبر كتاب رفائيل إنغلادا الأخير عن لوركا مرجعاً أساسيا لا غنىَ عنه للدارسين



صورة لوركا في شبابه

## مكتّبة «البيان»



## تجليات الذاتية في العمل الصحافي



صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة، كتاب: «تجليات الذاتية في العمل الصحافي: أحد عشر درسا حول دور الأفراد في إنتاج الخبر»، وهو من تأليف سيريل لوميو، وترجمه عزّ الدين الخطابي. ويقع في 347 صفحة.

هل يملك الصحافيون هامش التصرف بحرية أمام رؤساء مؤسساتهم وأمام الضغوط الاقتصادية المحيطة بأنشطتهم واستراتيجيات التواصل المتحكمة في مصادر أخبارهم؟ سيحاول باحثون في السوسولوجيا والعلوم السياسية والتاريخية، تقديم إجابات غير مسبوقة عن هذا التساؤل، إذ سيقترون انطلاقا من الأبحاث التي أجروها على مختلف وكالات الأخبار، جرائد يومية، وطنية وجهوية، جرائد إلكترونية، والشخصية وحزبية التصرف داخل عمل الصحفيين. ولا تساهم هذه الدراسات حول العمل الصحافي في بناء معرفة دقيقة بعوامل الصحافة وتطوراتها الحالية فقط، إنما تطرح أيضا رهانا يعمقنا حاسما للتخصّص في السؤال التالي: هل يعتبر من المشروع تأسيس نقد الوسائط الإعلامية، على الاعتراف بمسؤولية الصحفيين الشخصية.

يذكر أن سيريل لوميو هو باحث اجتماعي وأستاذ محاضر في معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية وعضو في «مؤسسة مارسيل موس». من مؤلفاته: «هل تساهم الوسائط في انتخاب رئيس الجمهورية؟ رؤية سوسولوجية للانتخابات الرئاسية لسنة 2007» (باريس، 2010).

أما المترجم عزّ الدين الخطابي، فهو دكتور في الإثنولوجيا من جامعة نيس - فرنسا، ومن ترجماته: «كتاب المغرب المجهول» للإثنوغرافي الفرنسي أوغست موليراس (2007).

### يوميات غونتاناмо

حدث لم يسبق له مثيل في عالم النشر على الصعيد



العالمي للمرة الأولى، يكتب سجينٌ يومياته وهو لا يزال رهن الاعتقال في غونتاناмо. منذ عام 2002 وحتى هذه اللحظة، يقضي محمود ولد صلاحي أيامه سجيناً في المعسكر الاحتجازي في خليج غونتانامو في كوبا. وطوال هذه السنوات لم توجه إليه الولايات المتحدة أي نوع من التهم. أصدر قاضٍ من المحكمة الفيدرالية قرأراً يقضي بإطلاق سراحه في آذار 2010، ولكنّ الحكومة الأميركية عارضت قراره ذلك، ولاإشارات في الاتفاق تدل على أنّ الولايات المتحدة لديها نية لإطلاق سراحه. في السنة الثالثة من أسره، بدأ صلاحي بكتابة يومياته، وأصفاً فيها حياته قبل مغادرته بيته، في 28 تشرين الثاني عام 2001، واختفائه في سجن امريكي، ثم «رحلته اللانهائية حول العالم» سجنًا وتحقيقًا، وأخيراً حياته اليومية كسجين في غونتاناмо. يومياته ليست مجرد سجلٍ حيّ لإخفاق العدالة، إنما ذكريات شخصية رهيبة تتسم بالعمق والسخرية السوداء واللفظ المدهش. يذكر أنّ الكتاب صادر عن «دار الساقى»، وهو من القطع الوسط، ويقع في 480 صفحة.

### بغداد

كتاب بُري بغداد، من جانب، كمكان للفتازيا، وبينّين، من جانبٍ آخر، ما هو مدهشٌ وغير قابلٍ للمُثال فيها.

يزخر الكتاب الصادر عن «دار الساقى» بحقائق تاريخية وصور ووثائق معاصرة. كما يستلطف نصوص أدباء غربيين زاروا بغداد وتركوا وراءهم انطباعاتهم. ويرسم صورة غنيّة الملامح لبغداد منذ تأسيسها عام 762. مروراً بحكم الخليفة الأسطوري هارون الرشيد، حتى خرابها على أيدي المغول. كما يروي قصصاً عدّة عن بغداد الحاضر من ذاكرة نجم والي، عن حبه الأول، عن دخوله الحياة الأدبية، مروراً بسجنه في أقيية مديريةية الاستخبارات العسكرية، وحتى هروبه إلى المنفى بعد

## البناء

### مصرع لوركا والشاعر ألبرتّي

رفائيل ألبرتّي، الشاعر الأندلسي القاضي، كان قد كشف النقاب قبيل رحيله عام 1999 عن تفاصيل مصرع لوركا، وكيف أنّه واجه الموت بنشاعة وصلابة. يقول في هذا الخصوص: «إنّ طبيباً إسبانياً يدعى فرانسيسكو فيغا ديث، كان شاهد عيان في مقتل الشاعر لوركا. قد حكى قصّة في هذا الشأن رُدها له سابقً التاكسي الذي قاد لوركا، إلى جانب معتقلٍ آخر وثلاثة من العساكر الذين ينتمون إلى الجرس المدني. إنّ الطريقة التي قتل بها لوركا كانت حتى الآن لغزاً محيراً، وقد أعطيت تفسيراتٍ مختلفة حول هذا الأمر، وبحسب فرانسيسكو فيغا ديثا، فإنّ سابق التاكسي كان قد زاره في عيادته في 13 آب 1936. الأحداث وقعت في الليل، وقد تعرّف سابق التاكسي على واحد من الذين تمّ القبض عليهما وهو الشاعر الغرناطي بواسطة الكشافات التي أوقدها الحراس للقيام بعملية الإغتيال». وكان غارسيبا لوركا قد سافر من مدريد إلى مسقط رأسه غرناطة إذ -بحسب الشاعر ألبرتّي - كان لوركا يعتقد أنّه في أرضه سيكون في مأمن من الخطر. وأضاف: «كان لوركا يخشاه خوف الأطفال، وكان يعتقد أنّه في غرناطة لن يحدث له شيء، فركب القطار إليها. إلاّ أن الموت فاجأه هناك، فكل منّا يحمل موته معه». ولقد سمع سابق التاكسي الشاعر لوركا يقول لقتله: ماذا فعلت حتى تعاملوني هكذا.؟ ثم ألقى العراج - بعد ذلك بلوركا والشخص الذي كان معه - كان مسناً وأعرج - داخل حفرة منخفضة، فعمل الشاعر على مساعدة زميله على الوقوف، ما زاد في حقن الحراس، فضربه أحدهم بقبض سلاحه وشجّع به ثمّ رأسه، ثم بدأ القتل بشتمون الشاعر ويرموه بأحطّ النعوت، وطفقوا بعد ذلك في إطلاق النار عليه على الفور. وأكّد السابق أنّ اثنين من مصارعي الثيران، وعشرة من الأشخاص الآخرين قد قتلوا كذلك في تلك الليلة نفسها.

وتشير الكاتبة والناقدة المكسيكية إيرما فوينتيس معلّقة على ذلك: «إنّ الشعراء مثل الأبطال والأنهار يطبعون شعوبهم بطابعهم ويجعلون شعبيهم يختلف عن الشعوب الأخرى، فالشعراء يتكون في العالم ضوءاً مشعاً متعدّد الألوان، يجعلون الرجال يجتمعون ويتحدون، على رغم تباين أجناسهم وثقافتهم، والخلافات الإيديولوجية، والسياسية والمشاحنات والمشاكسات التي قد تنشّب بينهم، وقد تصل حدّ الحروب والمواجبة. فكلّ شاعر من هؤلاء بغض النظر عن الزمن الذي يولد فيه، يصبح بمثابة «مزعج» كوني متعدّد الأوتار، وإنّ اختلفت أنغامه فهو يعزف لنا واحداً يعظمه كل موجود حيّ في أيّ صقع من أصقاع العالم».

وتضيف الناقدة: «وعليه، فإنّ فقدان أيّ شاعر لدى أيّ أمة، حدث تراجمدي يمسّ الإنسانية جمعاء، لا רקعته الجغرافية فحسب، هذا على رغم وجود شعراء آخرين كبار. أمّا إذا اغتيل شاعر، فإنّ الشعوب بالماساة يتفاقم ويزيد ويكون أقدح».

### قرب الوادي الكبير

من ذا الذي يمكنه أن يعوّضنا ما ضاع مع الشاعر، بدأ غارسيبا لوركا قرض الشعر في العشرين من عمره واستمرّ في الكتابة حتى يوم اغتياله عام 1936 وقد خلف لنا عشرات من القصائد مبثوثة في عدد من دواوينه، مثل «كتاب الأشعار»، و«صناد غنائية»، و«القصائد الأولى»، و«أغاني العُجْر الشعبية»، و«شاعر في نيويورك»، و«بكتانية عن إغناسيو سانتشيس ميخّياس»، ثم كم من الدواوين كان يمكن أن تضاف إلى هذه القائمة لو استمرت حياته على وئبرتها الطبيعية كيف ستكون أعماله الآن؟

قال لوركا عندما كان على بضغ خطوط من نهر الوادي الكبير: أصوات الموتٍ دقت، قرب الوادي الكبير أصواتٌ قديمة طوّقت، صوت القرنفل الرّجولي ثلاث دقات دموية أصابته، ومات على جنب. على رغم شغفه بالمسرح، فإنه في حياته الأخيرة لم يتوقف عن نظم أشعار رقيقة مؤثّرة وحزينة، كانت الإنلانس من أبرز علامات هذه الأشعار، ولقد كان لوركا مجنّداً وفريداً وطائراً غريباً في الشعر، كان من الطليعيين إلى جانب بيكاسو في عالم الصور والتشكيل والرسم حتى أصبح من أعظم شعراء القرن العشرين .



### لوركا وهاجس الموت

هذا المبدع الذي أحسنّ يقرب نهايته كانت له مقدرة هائلة على التغني بالجمال وتجسيم الألم والمعاناة :
ما هو مال الشعراء، والأشياء الناعسة؟
التي لا يذكرها أحد، أه يا شمس الأمل؟
أيّها الماء الزلّال، والمقرع الجديد

### ثقافة وفنون



يا قلوب الأطفال وأرواح الأحجار السدايبية

إنني أشعر اليوم في قلبي ارتجاج النجوم الغامض وكل الورود ناصعة البياض كحسرتي على أوراق أحزانه، فوق ليجج هموم بحرذ منذ الصغر، وإلى تلك العرفنية التي كتبها عن أحد أصدقائه من مصارعي الثيران كان لوركا دائمٌ الحديث عن الموت في شعره:

قلبيت قلبي وهو يغني في هدوء، عن السماء الجريحة الزرقاء ويقول مجيباً عن سؤال الصغار:

امتلا قلبي الحريري بالأضواء، والنواويس الضائعة والزنايق والنحل، ساذهت بعيدا بعيدا ما وراء تلك الجبال، ما وراء تلك البحار قريبا من النجوم.

ثم تجده يطلب ما لم يمنحه إِيّاه الزمن حيث يقول في قصيدة أخرى:

خليلي أريد أن أموت، بريئاً على سريري الفولاذي إذا أمكن، ذي الملاءات الهولندية ولم تتحلق له هذه الأمنية، فقد مات لوركا مقتولا مُجنّداً برصاص أعداء الشعر، وأعداء الإبداع وأعداء الحياة .

✻ باحث وناقد مغربي

حال شكل، فالضحك في موضعه كالبكاء في موضعه».

ويرى عكيدي أنّ الجاحظ اعتمد على إبراز الصورة كما يراها الراي وكما يرسمها الصوّر الماهر. فكان يخرجها لوحات فنية بارعة لا يغادر من مقوماتها شيء على دقة ملاحظة وخصوصية خيال، لا تكلف فيها ولا تصنع ولا مبالغه. وكان مستشفّاً الحركات الشعورية متغلغلاً في الخفايا النفسية مستنبطاً الإحساسات الخفية متأثراً ببيئته وبما أطلع عليه من كتب وثقافات.

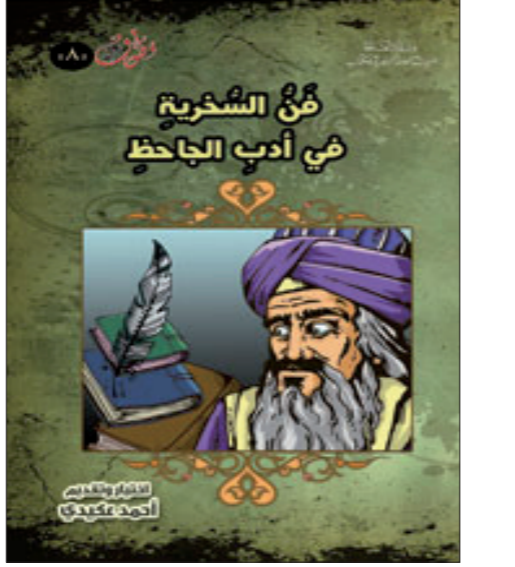
كما أطلع الجاحظ وفق ما جاء في الكتاب، على آداب الفرس وحكمة الهند وفلسفة اليونان. ففصح لسانه ووضح بيانه وعزّز علمه وقويت حجته وسلم منلطفه وعظم علمه بعجائب الخلقوات وطبايع الكائنات.

وأشار عكيدي إلى أنّ الجاحظ تعدّى المعرفة إلى التجربة والاستنباط، ولم يكن يكتفي بالكتب يأخذ منها، والإستادة يرتشف من علومهم، إنما كان يغشى سوق المريد في البصرة يتلقف الكتب مشافهة من الأعراب ويحضر مجالس الأدباء والشعراء ويسمع أشعارهم ومحاورتهم ويتأمل ويوازن ويقارن، وكان له في النقاش والجدل والمناظرة باع طويل.

وجاء في الكتاب أنّ الجاحظ ربط في واقعيته بين الأدب والحياة، فرسم صورة صادقة لها بصوّرُها كما يراها ويحسّها بحرية لا حدود لها، من هنا كتّب لأدبه الخلود. ووقف عكيدي، فإن الجاحظ خلق من السخرية فنّاً أدبياً وطيد الزكّان بقدرته على التصرّف في فنونها وتنوع أشكالها وضرورتها. وكان يقدر على السخرية ويوفيقها فكان حلو الحديث بارع التصوير دقيق المقارنة حاضر البديهة.

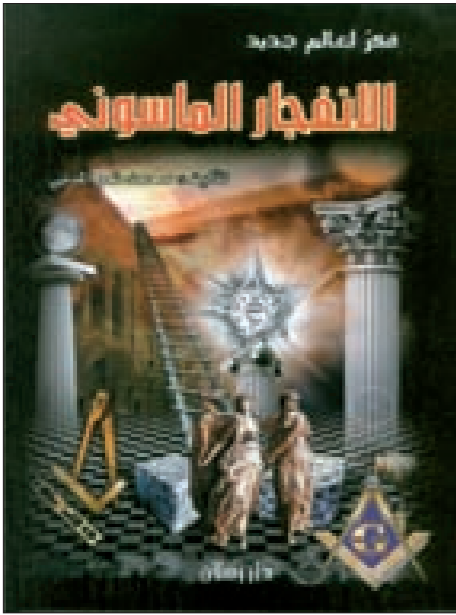
كتب الجاحظ في البخل والتناقق والتطفل والإهمال والكذب والمبالغة والأدعاء والخوف والجبن والقصور العقلي، وعندما غاص في باطن الخيل صوّر للقارئ دواخله ومسببات بخله بأسلوب فني ذي أسس.

كتابات الجاحظ تدل على أنّ القصة القصيرة جدّاً هي من ابتكاراته، وهو أول من كتبها، وليس للعصر الحديث علاقة بإيجادها، إذ تجلت في كثير من كتاباته مثل قصص: «مبالغة»، و«صدقت»، و«قرب الحج» و«جهد جهيد»، و«علامة»



و«لا أدري» وغير ذلك الكثير. يذكر أنّ للجاحظ مؤلفات منها «الحيوان»، و«البيان والخبثين»، و«سحر البيان»، و«البخلاء»، و«الحاسن والأضداء»، و«التبصر بالتجارة»، ومؤلفات أخرى عدّة.

### الانفجار الماسوني



إن الانفجار الماسوني الذي يتكلّم عنه الكتاب، لهو بلوغ الماسونية الذروة وحصولها على قدرات وامكانات، لم تتوفر لأي تنظيم عالمي منذ نشأة البشرية.

إن الماسونية حقيقة لا خرافة، وأعضاؤها موجودون في أي مكان في العالم، ويتبوأون أرفع المناصب، ويديرون أكبر الشركات. وئمة مكاتب علمية للماسونية في غالبية دول العالم.

كيف تنتشر الأفكار الماسونية عبر الصحف والفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام من دون أن تشعر بها؟ وهل الصهيونية هي التي تسيطر على الماسونية أم أنّ العكس صحيح؟

إن غالبية الألفاز العالمية مرتبطة بالماسونية، هذه الحركة القابضة بمخالبها على العالم الغربي ومقدراته. وعلى رغم العلم، إلاّ أنّها حركة مرتبطة بالخرافة والأسطورة والخدعة والتحايل وإرهاب أتباعها، وحتى تصفيتهم في أحيان كثيرة، وهي حركة تستخدم المافيا في أغاياتها، وتدعمها في مقابل ذلك، كما أنّ المحافل الماسونية تتصارع في ما بينها، وتستخدم الوسائل القذرة لبلوغ أغاياتها.

يقدم كتاب «الانفجار الماسوني» الذي ألفه محمد نمر المدني، والصادر عن «دار رسائلن للطباعة والنشر والتوزيع» - دمشق، بحثاً معمقاً في الماسونية بمختلف جوانبها، وارتباطاتها.